

مفهوم الشعر في ضوء العقيدة

نصر الدين إبراهيم*

مقدمة:

يتناول هذا البحث "مفهوم الشعر في ضوء العقيدة"، وهي دراسة تقوم على منهج تحليلي، وصفي، تاريخي، هدفها الإسهام المتواضع في تتبع أثر الفكر الإسلامي الحديث في إسلامية الأدب، والوصول إلى مفهوم خاص للشعر ضمن الإطار الإسلامي، ثم مناقشة بعض القضايا الهامة المتعلقة بهذا الجانب مناقشة علمية.

ومن ثم جاء البحث متضمناً النقاط الآتية:

أولاً: العلاقة بين الشعر والعقيدة.

ثانياً: موقف الإسلام من الشعر.

ثالثاً: الذاتية الإسلامية.

رابعاً: قضية الالتزام في الشعر.

خامساً: النتائج والتوصيات.

سادساً: المصادر والمراجع.

أولاً: العلاقة بين الشعر والأدب

لاشك أن العلاقة بين العقيدة والأدب أو الشعر وطيدة جداً، ولم يحدث الانفصام بين الدين والأدب^١ في الحضارة الأوربية إلا في المراحل المتأخرة خصوصاً في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، حين راح الإنسان الأوربي يبحث عن بدائل للدين في الفلسفات البشرية التي أجهت في أغلبها إلى الماديات، خاصة بعد الكشوفات التي

*أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

١ د. حسام الخطيب، الأدب الأوربي تطوره ونشأته ومدارسه (دمشق: مكتبة أطلس، ١٩٧٢م)، ص ٢١٥.

حققتها العلم في هذا المجال؛ ومهما يكن من أمر فإن الأدب في هذين القرنين وإن كان قد انفصل عن الدين فإنه لم ينفصل عن معتقد أو عقيدة توجهه، أيا كانت هذه العقيدة وأيا كان مصدرها. والمتتبع للمذاهب الأدبية الأوربية ابتداء من الكلاسيكية إلى آخر مذهب أدبي أو فني في القرن العشرين، يجد أنها جميعا قد صدرت عن معتقد أو مفهوم حياتي خاص، حتى ما سمي بمذهب الفن للفن الذي يدل ظاهر تسميته على أنه يعزل الأدب عن الحياة ومؤثراتها الفكرية، فإنه يعبر عن تصور ومنهج ومعتقد خاص بالحياة، ومن ثم الأدب نفسه.

أما الدين فإنه تصور شامل للكون والحياة والإنسان ينعكس أثره على الفرد في سلوكه وثقافته ويلونهما بلونه الخاص. ذلك الانعكاس قد يكون مباشراً ملموساً، كما أنه قد يكون خفياً لا تلحظه العين. فالدين إذاً هو القوة المحركة التي تصدر عنها نشاطات الإنسان وأعماله، وهو ضمير الأمة والجماعة التي تضمها بيئة معينة وتربطها بروابط متصلة.

أما الشعر فهو الوسيلة لتصوير أحاسيس الإنسان تجاه الطبيعة التي ولد وعاش فيها كما أنه وسيلة لتسجيل مخاوفه ومباهجه في هذا الوسط، بالإضافة إلى أنه أداة التعبير عن موقفه من العلاقات الاجتماعية السائدة. إنك لا تجد جماعة بشرية إلا وقد عبرت عن أحاسيسها بطريقة ما تناسب ووضع المجتمع سواء في حالة تطوره ونضجه أو في حالته الأولى عندما كانت البشرية في مراحلها الأولى يدرج فيها الإنسان بين الكهوف والغابات.

ولما كان الدين غريزة فطرية لصيقة بالكيان الإنساني فإنه يجيب عن تساؤلات الإنسان الكبرى، ويرسم تصوره للوجود، ويحدد له علاقته الإنسانية على تفاوت في طبيعة هذا الدين. لذا كان الشعر في المراحل الأولى من حياة الإنسان، هو الأداة المفضلة للتعبير عن تصوراته الدينية والاجتماعية، وهكذا كان العرب في جاهليتهم يعلقون أشعارهم على أستار الكعبة؛ بينما كانت الأصنام معقد آمالهم ورجاء نفوسهم تنتشر حول الكعبة، كما سجل ذلك الباحثون في تاريخ الأدب والشعر. ذلك يعني أن الشعر نشأ في أحضان العقيدة، فلا غرو إذاً أن يكون الكاهن أديبا يتفنن في عرض سجعه وشحذ قريحته كما فعل خطيب العرب وشاعرهم "قس بن ساعدة الإيادي" ذلك الذي أصاخ إليه الرسول صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته الوراق.

كذلك مظاهر الدين في الحياة الأوربية، وعلاقة ذلك بالأدب واضحة جداً، فالشاعر الإنجليزي (ت.س. إليوت)، والذي يمثل ظاهرة أدبية بارزة في الشعر الأوربي

البحث. وليس القبح من وجهة النظر الإسلامية، والأدب الإسلامي قبحا ماديا مضادا لقيم الجمال المادي، بل هو قبح القيم أيضا، فالفحش السياسي والاقتصادي والرذيلة والزنا والكذب والغش والرياء والعدوان والظلم قيم قبيحة - إن صحّ اعتبارها قيما - يجتهد الإسلام والفن الإسلامي في محاربتها وتبشيع صورها وقلعها من الحياة، أو التخفيف من وجودها على الأقل، لأن وجودها في بعض الأحيان يساعد في البحث عن قيم الحق والخير والجمال، ويثبت للإنسان إنسانيته الهادفة الباحثة والمسؤولة والمنتصرة في تجربة الصراع مع قوى الشر والباطل والقبح^٧. هذا وقد قيل: "خير وسيلة لحق الباطل، هو التفنن في تمجيد الحق"^٨.

ويرى بعض الباحثين في شؤون الفن والأدب، أن الفن لا بد أن يكون مثل الدين، قائما على قواعد الأخلاق، يقول الكاتب الفرنسي (جويو): "إن الروح الأخلاقي عند الفنان كعبقريته، يجب أن ينبعا معا وفي وقت واحد من أعماق طبيعته.. وإن الفن غير الأخلاقي هو على كل حال أخط مرتبة، حتى من وجهة النظر الفنية الخالصة"^٩.

ويرى الدكتور شلتاغ عبود: "أن قضية الأخلاقية في الفن لا يقصد بها الوعظ والإرشاد المباشر، بل للفن أدواته التصويرية الخاصة في نقل الإحساس الأخلاقي وتعميقه في النفس الإنسانية. ولعله بسبب من هذا كان كتاب الإسلام الأول، يعمق هذا الإحساس من خلال صورته الفنية وأساليبه النفسية المؤثرة وقصصه التي توحى بالعبارة والهدف إيجاء شفافا. وبهذا يكون الأدب الإسلامي قد مرّر هدفه الأخلاقي من خلال عالم ممتع وجميل، بعيدا عن الشعارات والدعوات المجردة، أو المفاهيم المباشرة"^{١٠}.

أما عن الجدل الذي أثاره نفر من الباحثين، في أن الدين أو (الأيديولوجيا) تمثل نظاما من المفاهيم والتصورات، أو موقفا فكريا محمدا، فهي إذاً محددة ومتعينة، في حين أن الأدب والفن بعامه طليق لا يمكن أن يكون محدودا، بل هو متمرد على كل الحدود^{١١}.

نسي هؤلاء الباحثون أن القرآن بطبيعته متجدد، تستوعبه الأزمنة، والأمكنة، ومتطور بطبيعته مع تطور العصر والمكان، ويعبر عما في العصور من مستجدات، هذا إذا أحسن الإنسان فهمه. والإسلام دين ودولة، فهو عقيدة ذات نظرة شمولية غير محددة بزمان أو

٧ الأستاذ محمد قطب، منهج الفن الإسلامي (بيروت: دار الشروق، ط٦، ١٩٨٣م)، ص٩٣.

٨ الأستاذ حسن الحسيني، "تعبيرات فنية"، مجلة التوحيد، عدد ٣٢، ٣٣، ص١٦٣، عام ١٩٨٨م.

٩ الأستاذ توفيق الحكيم، فن الأدب (القاهرة: مكتبة الآداب)، ص٧٥.

١٠ د. شلتاغ عبود، الملامح العامة لنظرية الأدب الإسلامي (دمشق: دار المعرفة، ط١، ١٩٩٢م)، ص٤٧.

١١ د. عزالدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر: قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية (دار العودة، ط٣، ١٩٨١م)، ص٣٧٧.

- ٣- ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ (يس: ٦٩).
 ٤- ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ (الصفات: ٣٦).
 ٥- ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ تَتَّيَّسُ بِهِ رَبِّبَ الْمُنُونِ﴾ (الطور: ٣٠).
 ٦- ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ (الحاقة: ٤١).

فهذه الآيات مجتمعة - عدا الآيات الواردة في آخر سورة الشعراء - إنما تشتمل على معنى عام واحد لا تفارقه، وهو نفي صفة الشعر عن الرسول ﷺ، ونفي الشعر عمّا أوحاه الله إليه من آيات القرآن الكريم.

أما آيات سورة الشعراء - السالفة الذكر - فتدل على ما اتصف به شعراء الإسلام من أخلاق، وصفات جميلة، وخلال حميدة دون كافة الشعراء. وهذا يدل على أن أهداف الشعر وغاياته ينبغي أن تكون نبيلة طيبة صالحة، يلتزم بها الإنسان أينما كان، لأن الأصل في الأدب والشعر خاصة التهذيب، أي تهذيب النفس البشرية، والبعد بها عن الفجور والفحشاء. وفي رأبي أن هذه الآيات من سورة الشعراء، قد رسمت بوضوح موقف القرآن من الشعر والشعراء، وهو موقف وإن أسهب فيه المفسرون لهذه الآيات الكريمة، إلا أنه واضح لا يكاد يتغير البتة. فالقرآن لم يرفض الشعر، ولكن اشترط فيه التهذيب، والتوجيه الصالح الذي يفيد ويشمر، وتكون غايته النفع والخير الذي يعم البشرية، ويصل الإنسان بربه وخالقه، ويلفت نظره إلى التأمل في ذلك الكون الواسع. ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (آل عمران: ١٩١).

ثانياً: موقف الرسول ﷺ من الشعر:

غايتنا هنا أن نلخص موقف الرسول ﷺ، من الشعر بذكر بعض الأحاديث الصحيحة، التي وردت في هذا المجال؛ وهذه هي:

الحديث الأول: عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: "إن من الشعر لحكمة" ١٥.

وفي رواية أبي داود: عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فجعل يتكلم بكلام، فقال رسول الله ﷺ: "إن من البيان سحراً، وإن من الشعر حكماً" ١٦.

١٥ رواه البخاري في صحيحه، في كتاب الأدب (١٠٧/٧)، وأبو داود في سننه، في كتاب الأدب برقم (٥٠١٠).
 ١٦ ابن الأثير، جامع الأصول، ت. عبد القادر الأرناؤوط، ١٦٤/٥.

ثالثاً: موقف الخلفاء الراشدين من الشعر

١. سيدنا أبو بكر الصديق (رضي الله عنه):

لم يرفض سيدنا أبو بكر الشعر، وقد قيل "إن أبا بكر رضي الله عنه، يقول الشعر" ٢٠. وقد أثبت له ابن إسحق قصيدة في سرية عبيدة بن الحارث قال في مطلعها:

أمن طيف سلمى بالبطاح الدماث أرقن وأمر في العشيّة حادث ٢١

وإذا ثبت أن أبا بكر رضي الله عنه، قال الشعر في الجاهلية - كما يفهم من كلام عائشة رضي الله عنها، فليس ثمة ما يمنع الصديق من أن يُجري على لسانه بيتاً أو أكثر بعد إسلامه، وبخاصة إذا توافر ما يحفز على قول الشعر، ويكون ذلك مما غاب عن عائشة رضي الله عنها ولم يصل إلينا، فلا يفترض في عائشة الإحاطة بجميع شؤون أبيها رضوان الله عليهما كذلك لا يفترض أن كل ما ورد عن الصديق قد علم ودون ٢٢.

وقد بلغ من معرفة المسلمين بتذوق أبي بكر رضي الله عنه للشعر ورضاه عنه، أن كتب له بعض الشعراء - زمن الردّة - أبياتاً يتبرأ فيها ممن ارتد من قومه، ومن هؤلاء امرؤ القيس بن عابس الكندي، فقد كتب يقول:

ألا أبلغ أبا بكر رسولاً وبلغها جميع المسلمين
فليس مجاوراً بيبي بيوتنا بما قال النبي مكذبيناً ٢٣

فمن هنا يتضح موقف سيدنا أبي بكر في تأييد إنشاد الشعر وقوله، وكما ذكرنا فالآيات القرآنية قد حسمت هذه القضية، ومن ثمّ فلا حرج في إنشاد الشعر، ما دامت الغاية التي يرمي إليها صاحبها نبيلة، وأن الشعر نفسه يلتزم خط الإسلام ومنهجه.

٢. سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه):

أما الخليفة الثاني فقد تواترت الأخبار عنه بإنشاد الشعر، وسماعه، ونقده. قال الأصمعي: "ما قطع عمر رضي الله عنه أمراً إلا تمثّل بيت من الشعر" ٢٤. وذكر ابن رشيّق القيرواني عن عمر رضي الله عنه: "كان من أنقذ أهل زمانه للشعر، وأنقذهم فيه معرفة" ٢٥.

٢٠ ابن رشيّق القيرواني، العمدة، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت: دار الجليل، ط ٤، ١٩٧٢م)، ٣٢/١. وانظر: البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق د. محمد حميد الله (جامعة الدول العربية: معهد المخطوطات باشتراك مع (مصر: دار المعارف، ١٩٥٩)، ١/١٩٣-٥٩٢.

٢١ ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وزميله (مصر: مصطفى الباي الحلبي وأولاده، ط ٢، ١٩٥٥م)، ٥٩٢/١. والدماث: الرمال اللينة.

٢٢ الأستاذ ناصر الدين عبد الرحمن، الالتزام الإسلامي في الشعر، ص ١٥٧.

٢٣ ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق علي محمد الجاوي (القاهرة: دار نهضة مصر)، ١/١١٣.

٢٤ ابن الجوزي، تاريخ عمر بن الخطاب (الناشر: محمد أمين الخانجي، ط ١، ١٩٤٢هـ - ١٩٢٤م)، ص ١٨٦.

٢٥ ابن رشيّق القيرواني، العمدة، ٣٣/١.

وهذه القصة توضح حرص سيدنا عثمان بن عفان على مكارم الأخلاق، وهذه رسالة الشعر فينبغي ألا ينحرف عن هذا الطريق أبداً، فإذا انقلب الشعر سلاحاً يشهره في وجه فرد من المسلمين؛ فلا بد من تعديل هذا المسار، وتصحيح هذا الانحراف حتى يسير في خط الإسلام المستقيم ويلتزم بمنهجه القويم، وهذا ما فعله عثمان، والروايات التي تحكى عنه في هذا الشأن كثيرة جداً.

٤. سيدنا علي بن أبي طالب (رضي الله عنه):

أما سيدنا علي رضي الله عنه فكان يقرض الشعر. وقد أورد ابن حجر في (فتح الباري)، ما نصّه: "هجا رهط من المشركين النبي ﷺ وأصحابه؛ فقال المهاجرون: يا رسول الله ألا تأمر علياً فيهجو هؤلاء القوم؟ فقال: إن القوم الذين نصرُوا بأيديهم أحق أن ينصروا بألسنتهم، فقالت الأنصار: أَرادنا والله. فأرسلوا إلى حسان الخير... ٣٠".

وهذا الخبر يدل على تمكن سيدنا علي رضي الله عنه من زمام الشعر، فقد عرفه المهاجرون بذلك، ولهذا أشاروا على الرسول ﷺ، بعلي ليناجز القوم بشعره.

بل فوق ذلك كان سيدنا علي يسمع الشعر، ويثيب على الجيّد منه، فقد روي أن أعرابياً وقف عليه فقال: "إن لي إليك حاجة رفعتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك؛ فإن أنت قضيتها حمدت الله تعالى وشكرتكَ، وإن لم تقضها حمدت الله تعالى وعذرتك، فقال له: خطّ حاجتك في الأرض، فإنني أرى الضّر عليك، فكتب الأعرابي على الأرض: (إني فقير)، فقال عليّ: يا قنبر، ادفع إليه حلتي الفلانية، فلما أخذها مثل بين يديه فقال:

كسوتني حلة تبلى محاسنها فسوف أكسوك من حسن الثنا حللاً
إن الثناء ليحيى ذكر صاحبه كالغيث يحيى نداء السهل والجبلا
لا تزهد الدهر في عرف بدأت به فكل عبد سيجزي بالذي فعلا

فقال عليّ: يا قنبر، أعطه خمسين ديناراً، أما الحلة فلمسألتك، وأما الدنانير فلأدبك^{٣١}. وهذا يدل على أن سيدنا علياً رضي الله عنه كان يستمع إلى الشعر، بل ويثيب عليه، إلا أنه كان ملتزماً بالإسلام والسنة في شأن الشعر والشعراء.

وخلاصة الأمر في ذلك؛ أن الشعر الطيب الحسن، لم ينكره أهل العلم. ولم يقف

٣٠ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري لشرح صحيح البخاري، تقديم وتعليق طه عبد الرؤوف سعد، والسيد محمد عبد المعطي، ومصطفى محمد الهواري (شركة الطباعة الفنية المتحدة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م)، ٣٥٣/٢٢.

٣١ ابن رشيح القيرواني، العمدة في محاسن الشعر، ٢٩/١.

وتنقسم الذاتية إلى قسمين كبيرين، هما ذاتية الانتماء، وذاتية الوعي، وقد تناول - هذا الموضوع - كاتبان: الأول الكاتب الأمريكي (إريك إريكسون)، في كتابه "الذاتية والشباب والانهايار"^{٣٤}، ورأى إحاطة العناصر المكونة للذاتية، داخلية وخارجية، بما في ذلك عنصر الدين، وشمولها وسيطرتها على الفرد وسلوكه ونتاجه الفكري والفني والأدبي.

أما الكاتب الثاني، فهو (آدم كيرل)، في كتابه "روحانيون وثوريون: دراسة في ذاتية الوعي والفعل الاجتماعي"^{٣٥}. وترجع أهمية كتاب (كيرل) إلى أنه يربط تحليلاته بالواقع الإسلامي القديم والمعاصر ويستمد نماذجه وأمثله من هذا الواقع، من ناحية، كما أنه يفرق بين "ذاتية الانتماء" و"ذاتية الوعي"؛ هذا وقد جاء حديثه كما يلي:

أولاً: ذاتية الانتماء

وهي كل ما ينتمي إلى الشخص، أو ينتمي الشخص إليه.. وبذلك نشعر فيها بمعنى التملك أو التمازج والتآلف، فهي مجموعة الارتباطات المتعلقة بأشياء مادية ومعنوية على حدّ سواء. هذه الأشياء وإن لم تكن مملوكة لنا كأشخاص - بالمعنى القانوني أو الفقهي للملكية - إلا أننا نشعر بها وتحدث عنها دائماً على أنها لنا، بمعنى أننا نملكها ونملكنا.. نحرص عليها.. ندافع عنها.. وقد نموت في سبيلها.

هذا النوع من الملكية والانتماء، يشمل كل مكونات التراث الإسلامي، وكل ما يتصل بذات الشاعر المسلم: العقيدة، والرسول ﷺ، والقرآن الكريم.. الصحابة والخلفاء الراشدين والتاريخ.. المعارك، والمعاهد، والكتب.. الأسماء والأعلام.. طرائق المعاش.. حكمة آبائنا.. حلم أطفالنا.. أمنياتنا.. آمالنا.. جراحنا.. همومنا.. عذابنا.. قضايانا.. كل شيء.. مادة كان أم جوهرًا. وقد تتسع ذاتية الانتماء وتسمو فتشمل العرض والجوهر، المادي والروحي، المحسوس وما استقر في الوجدان دون شعور مباشر به. ولكنها أيضاً قد تضيق وتُسَف إلى حدّ الارتباط بالأشكال الفارغة، والمظاهر المادية أو المحسوسة فقط.

ثانياً: ذاتية الوعي

وهي صفة يملكها الجميع، لكن لا يستطيع أن يعبر عنها سوى النادرة، وهي ليست صفة آلية كامنة في الشعور، وإنما هي نتيجة جهد موجه ذي غاية، فيه تخلو أذهاننا من جميع الارتباطات والانتماءات، فنرى ببصيرة أكثر نفاذاً، ونحس بعواطف أشدّ انفعالا، ونفكر بعقول أبعد تأثيراً. فالذاتية الإسلامية على هذا النحو أشبه بلحظات التنوير

34 Eric Erikson, *Identity: Youth and Crisis*, New York, Norton, 1986.

35 Adam Curle, *Mystics and Militants a Study of Awareness Identity and Social Action*, Tavistock, London, 1972.

ريم على القاع بين البان والعلم
 ثم يقف في وصف الرسول ﷺ، منشداً:
 محمد صفوة الباري ورحمته
 سناؤه وسناء الشمس طالعة

ثم، يؤكد محبة الرسول ﷺ، التي شاعت بين البرية، فيقول:
 محبة لرسول الله أشربها
 قعائد الدير والرهبان في القمم^{٤١}

ثم يؤكد أن خطاب الله تعالى له بالقراءة، لم ينزل على بشر قبله.
 ونودي اقرأ تعالى الله قائلها
 هناك أذن للرحمن فامتألت
 لقبتموه أمين القوم في صغر
 أسماع مكة من قدسية النغم^{٤٢}
 وما الأمين على قول بمتهم^{٤٣}

ثم يكشف عن فصاحته وبلاغته فيقول:
 يا أفصح الناطقين الضاد قاطبة
 بكل قول كريم أنت قائله
 حديثك الشهد عند الذائق الفهم^{٤٤}
 تحيي القلوب وتحيي ميّت الهمم^{٤٥}

٣٨ المعنى: إن المحبوبة السانحة في ذلك الموضوع، كأنها الظبي في حسنه ورساقته، قد قتله صباية بها ولها عليها، وأسرفت عليه حتى أنها استحلّت دمه في الشهور التي تحقن فيها الدماء ويحرم فيها القتال، حتى بين الموتور والواتر، ويمشي فيها السلم بين المتوور له والثائر. انظر: أمير الشعراء، نهج البردة (القاهرة): المطبعة النموذجية، ومكبة الآداب ومطبعها بالجامين، ص ١١.
 ٣٩ المعنى: إن محمداً ﷺ اصطفاه الخالق من خلقه، وهو خير البرية وأفضل الناس أجمعين. انظر: المرجع السابق.
 ٤٠ المعنى: لمن كانت الحقيقة المحمدية قد سميت على جميع العوالم، وعلت على كل الكائنات، فإن نوره ﷺ عمّ البرايا جمعاء، وشاع في الأرض والسماء، كما يتصل نور الشمس بأفاق هذا العالم السفلي وجرمها حار في مذهبها الرفيع سابح في فلكها العلوي، بل إن حقيقته ﷺ أسمى وأرفع، ونوره أعمّ وأنفع.
 ٤١ المعنى: إن محبته ﷺ قد شاعت في قلوب أحلاس الأديار من متنسكي النصارى ورهبانهم المنقطعين في رؤوس الجبال للتيبتل والعبادة.

٤٢ المعنى: إن خطاب الله لنبيه ﷺ بقوله ﴿اقرأ باسم ربك﴾ لم ينزل على بشر قبله، ولم يجر به فم إنسان قبل أن يوحى إليه ﷺ، وإن حوطلب الأنبياء قبله بغير هذا الخطاب، كخطاب الله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿خذ ما آتيتك وكن من الشاكرين﴾، وليحى عليه السلام: ﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة﴾، وغير ذلك.
 ٤٣ المعنى: كان أذانه (دعاؤه) ﷺ نفحة من نفحات القدس تحدث لها في النفوس هزة، وتقع في القلوب.
 ٤٤ المعنى: كتسم تلقبونه بالأمين، فتقولون "محمد الأمين"، وذلك لما رأيتهم من شدة وفائه وعصمته عن الباطل ونزاهته عن الكذب، وما علمتم في طبعه الكريم الخرافا، ولا وجدتم في خلقه الشريف نفرة، فكيف يكون الذي تشهدون بأمانته وصدقه طول حياته متهما بالكذب فيما دعاكم إليه، وأرادكم اليوم عليه!
 ٤٥ المعنى: الناطقون الضاد: العرب، لأن "الضاد" لا تقع إلا في لغتهم. الشهد: العسل في شحمه، والذائق: صاحب الذوق في فهم الكلام والخبرة بمواقفه، والفهم: صيغة مبالغة من الفهم، حيث شبه حديثه بالشهد في حلاوته وعذوبته وانسباط النفس له، أو لفائدته وشفائه لأدواء النفوس، كما يشفى العسل من أدواء الجسوم.
 ٤٦ المعنى: إحياء قوله القلوب: تأثرها بمواعظه ﷺ وتبنيها من غفلتها، وتدبرها ما ينفعها وما يضرها. وإحياءه الهمم إيجادها وابتغاؤها لعظام الأمور. وقد وصل قوله ﷺ هم أصحابه وتابعيههم بالجوزاء، فدانت لهم المسالك، وذلك لهم الصعاب، ويسر لهم في السير من الزمان ما تعذر على الأزمان والأحقاب، وكريم: بمعنى الثمين النافع، وإحياء القلوب مجاز عن تأثرها، وموت الهمم، فقدانها.

ثانياً: معنى الالتزام في الأدب

يأتي الالتزام في المصطلح الأدبي بمعنى: "أن يلتزم الأديب في أعماله الأدبية عقيدة من العقائد أو مبدأ من المبادئ أو فلسفة من الفلسفات"^{٥٣}. وإن كان الدكتور محمد غنيمي هلال - يرى عند حديثه عن الواقعية الاشتراكية والوجودية - أنه: "يراد بالالتزام الشاعر وجوب مشاركته بالفكر والشعور والفن في قضايا الوطنية والإنسانية وفيما يعانون من آلام وما يبنون من آمال"^{٥٤}. أما الروائي الأمريكي المعاصر (نورمان مالر)، فقد فسره: "بأنه نوع من التعاقد أو الارتباط بشيء خارج الذات"^{٥٥}. وخاتمة المطاف أن الالتزام الأدبي، إنما يعبر عن التزام الأديب تجاه عقيدة أو فكر، أو مذهب، أو اتجاه معين؛ يدافع عنه، ويتمسك به رغبة فيه، وحباً له.

ثالثاً: الشعر والالتزام الإسلامي

وقع خلاف حاد في هذه القضية، خاصة وأنها نظرية أدبية ولدت في ظروف سياسية جديدة، وأصبحت في طليعة قضايا النقد الأدبي الحديث. ونحن لا نريد أن نطنب في الموضوع، فنوسع من شأنه، ونبحث عن الالتزام عند الشيوعيين، والوجوديين، والرأسماليين، فهذه قضايا قد درست، ومحضت بدقة^{٥٦}. ولكننا نقف عند الالتزام الإسلامي. لقد اختلف بعض الأدباء والباحثين، في كيفية الالتزام، هل يكون التزاماً للنص والشخصية، أو التزاماً للنص فقط دون الشخصية. أي بمعنى؛ هل العبرة فيما يقال، أو فيمن يقول؟ أو في كليهما؟

فالذين يلتزمون النص يرون أن الإسلام رسالة عالمية لكافة البشر؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (سبأ: ٢٨). فلا ينبغي أن يضيق شيء يمكن أن يتسع لكافة البشر، عسى أن يهديهم الله سبحانه وتعالى في يوم من الأيام، فهناك كتاب غير مسلمين قد كتبوا في الإسلام كتابات قيمة، ممتعة، ومفيدة. ويرى الدكتور سعد أبو الرضا: "أن في هذا المنحى (التزام النص، والشخصية)، تضيقاً لمجال يجب أن يتسع، فالنتاج الأدبي الذي يصدر عن الإسلام وقيمه أعم وأشمل من أن

٥٣ الأستاذ ناصر بن عبد الرحمن النحيين، الالتزام الإسلامي في الشعر (الرياض: دار الأصاله للثقافة والنشر والإعلام، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م)، ص ٢٧.

٥٤ د. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث (القاهرة: دار نهضة مصر للطبع)، ص ٤٨٤.

٥٥ د. لويس عوض، الاشتراكية والأدب (بيروت: منشورات الآداب، ط١، ١٩٦٣م)، ص ١٨٠.

٥٦ انظر: ناصر بن عبد الرحمن، الالتزام الإسلامي في الشعر، ود. محمد عبد المنعم خفاجة، النقد العربي الحديث ومذاهبه (مصر: مطبعة الفجالة الجديدة، ١٩٧٥م)، ود. بدوي طبانة، قضايا النقد الأدبي (المطبعة الفنية الحديثة، ١٩٧١م).

شعراً أم غيره، فإن عليه أن يلتزم فيه بمنهج الإسلام؛ ذلك لأنه سيسأل عنه أمام الملك الديان، فإن كان في مرضاة الله أقدم عليه، وشمر له عن ساعديه، وإن كان في سخطه أحجم عنه، وانصرف إلى ما هو خير منه؛ وكذلك الحال، فيثاب على الخير ويعاقب على الشر، والأدلة من القرآن كثيرة؛ من ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧٠-٧١). وقوله تعالى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق: ١٨). وقوله: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النور: ٢٤).

ثالثاً: إن الكون المنظور - ما بدا منه وغاب - من سموات وأرضين، وما فيهن من جبال وأنهار وأشجار وبحار وليل ونهار، لا تفتّر عن تسييح الله، ولا تنفك عن تنزيهه، على حدّ وصفه سبحانه لها بقوله: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ، إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (الإسراء: ٤٤).

وكما أن المسلم يدين لله بالإسلام، فكذلك سائر المخلوقات مسلمة له سبحانه منقادة لأمره، إذا أراد شيئاً: ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (البقرة: ١١٧). فوافق المسلم في وجهته سنة الكون وفطرته، فالجميع مسلم لله، ملتزم بذلك لا يبغي عنه حولاً^{٥٩}. ولهذا قال عزّ وجلّ: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾.

إذن فالشاعر المسلم لم يكن بدعا في التزامه، وليس غريباً بهذا الالتزام، وإنما هو موافق لسنة الله في الحياة، وإذا جاء تصوير الشاعر لواقع الأشياء على وجدانه من خلال هذا المفهوم، وذلك التصور الذي مكّنه الإسلام من نفسه وأوقعه في قلبه، فلا ريب في أنّ هذا هو الالتزام بعينه، وهو ينبثق من دين الإسلام وعقيدته، ومن رغبة الشاعر المسلم في مرضاة خالقه وطمعه في ثوابه وحشيتته من سخطه وعقابه، ثم لا يضير بعد ذلك شكل شعره أو صورته، ما دام المضمون حقاً، أو على الأقل لم يكن فسقاً، بل إنّ اتقانه لفنه الشعري وتبجيره إياه وإبداعه فيه مما يأمره به إسلامه، ويقربّه إلى الله زلفى؛ فقد قال عليه الصلاة والسلام: "إن الله يحب إذا عمل أحدكم العمل أن يتقنه"^{٦٠}.

٥٩ أبو الأعلى المودودي، مبادئ الإسلام (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م)، ص ٤٠.
٦٠ انظر: الشيخ إسماعيل العجلوني، كشف الحفاء ومزيل الإلباس، تصحيح أحمد القلاش (حلب)، رقم ٧٤٧، وانظر: ناصر بن عبد الرحمن، الالتزام الإسلامي في الشعر، ص ١٨١-١٨٤.

سادساً التوصيات:

نوصي بمراجعة مناهج الأدب العربي لمختلف المراحل، وخاصة المراحل الجامعية، بحيث تشجع في هذه المناهج الروح الإسلامية، التي تعمل على تنقية الأدب من الدخيل، تحت مجهر إسلامي، والاستفادة - ما أمكن - من المناهج الغربية الحديثة والمعاصرة، ضمن إطار إسلامي.